تلمس في الظلام

روحة في الظلام تقري فؤادي ... ذكريات تسمو لأعصر عاد
خاطرات فاض الجلال مجنيها ... وصورت بعاجل الأرعاد
أمأم الركب والثقا بهداد ... ما لقلبي يجد في أنجاد ؟
أيها الكوكب البعيد أفض لي ... بسنا خاض شاسع الأبعاد
كم ملايين عالم قد تلاشى ... وهو في سيره لهذي العباد
يا ترى هل درى بأني ساتي ... حين شق الأثير شطر بلادي ؟
أم درى انني أضيع أهدافي ... فقد جاء آخذاً بقيادي
تهت واضيعتي فذي السحب ... قد وافت لتفتاله على ميعاد
أشرقي يا نجوم فالقلب حيران ... وقد غشه غشاء الحادي
خلص الحي تحت موج غطيط ... وغزتني الأحلام دون رقاد
أأنا التائم المجد بأحلامي ... أم الحي ... ؟ قد أضحت رشادي
أزفت ضرة الحمى ثورة الحق ... فهل نافعي النداء حيادي ؟
أنا في باطلي استرحت فلا لاح ... ليوم الرشاد فجر هادي
واذا كنت في نعيم من الأحلام ... فليذك عسر في إيقادي
أنا في جنة بوحي خمار ... الروح تلمس في الجحيم مهادي
هيئتها خواطر باسمات ... ورعت من تفاؤلي بمهاد
ركبت سفرتي نهامه بيضاء ... وأضنى المطي طول السهاد
ريل قلبي تبددت بنيات ... الروح إذ ريع صبرها بنفاد
أتعب القلب باجتراء المآسي ... وزماني يأبى نفاد الزاد
رب موج قد خضته بادي الأهوال إذ هائج مرعب الأزباد
فتعاليت عاصفاً يملأ البحر ... اضطراباً ولا يضام بعادي
ثم إذ عدت صارخاً بالشواطي ... ردد الصخر رهبة ارعادي
ألفت روحي الظلام أنيساً ... إذ أتى النور بالسوى بادي
واحتست بالسكون سلوى ... بأرواح تغنت سحرية الانشاد

وإذا الوحش قد أغار فلم يعص كبني الانسان لفتك صادي
وألفت القبور إذ ميتة الارواح شرٌّ من ميتة الاجساد
أيها الراحلون خلفكم الحسران ما انفكَّ منكماً بالفساد
ولقد طافت والظلام بأكوام تراب زانت قرار الوادي
نه جلالاً فما أجلك وادي فيه ذكت حواضر وبوادي
كم قبيل زاحمته بقبيل وبلاد طحنتها ببلاد
(رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحم الاضداد)
أيها الراقدون هبوا لعصر النور ما يومنا بيوم رقاد
أوَمَا آن للقبور انبعاث في عصور أطغينَ صلد الجماد
غير ان الحياة عالم نقص ووجود مصيره لفساد
أزرعت كأسها زماناً وعهداً أرأيت الاشواك في الاوراد ؟
لا تخالوا ابتسامها غير هزء ما حنى العطف منجل الحصّاد
عبراً للوعاة يتلو فم الدهر سطور الابراق والارعاد
غير أن الحجيج من ضجة العيس أضاع المرى وضلّ الحادي
هو ذا الله في الوجود تجلى ببديع الآثار للرواد
في حياة النبات في عش الطير وفي نغمة المزار الشادي
قائل قوم أنى تعود جسوم أعقبت فارها خمود رماد ؟
وهبوط النفوس للعالم السفلي قبضٌ فيم تريد الأيادي ؟
غير ان الرموز تفنى ولكن مودعات البذور سرّ من السرّ (المعاد)
وكذاك الارواح تهبط للأرض ليكسبي الكمال (ذو استعداد)[1]
آية الصعب أن تسيرك الروح بعيداً عن قائل (الا تعاد)
وبنا راعه الوجود فهلاً رحموا منه صرخة الميلاد
والذي حير العقول (وجود جوهري مجرد) غير بادي

(بغداد) ضياء الرميلي

(١) كما يرى فلاسفة الاسلام وابن سينا في ميليه